آيات الشهداء في القرآن الكريم: دراسة تحليلية

Verses on Martyrs in Holy Quran: An Analytical Study

د. جميلة أحمد ناصر الماوري: أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، اليمن.

Dr. Jamila Ahmed Nasser Al-Mawri: Assistant Professor of Interpretation and Quranic Sciences, Department of Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, Sana'a University, Yemen.

Email: Tareq7711911@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v5i9.1590

تاريخ الاستلام: 2025-6-19 تاريخ القبول: 2025-07-13 تاريخ النشر 2025-09-01

الملخص:

هدفت الدراسة إلى تتبع وجمع الآيات التي تحدثت عن الشهداء في كتاب الله تعالى، ودراستها دراسة تحليلية؛ لمعرفة كل ما احتوت عليه هذه الآيات من أسباب ومعاني ومناسبات ومواضيع، وغيرها، اقتضت طبيعة الدراسة أن يكون المنهج العلمي هو المنهج الاستقرائي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى أهم النتائج، ومنها: أن مكانة الشهداء في القرآن ارتقت إلى أعلى الدرجات حيث أصبحوا رفقاء لخير الخلق في جنات النعيم، وهم الأنبياء، وأن الله تعالى اصطفاهم للشهادة، وأن من أعظم ما ناله الشهداء في القرآن هو فوزهم بجنات النعيم، وتمتعهم بالحياة التي يستحقونها عند ربهم، ثم أوصت ببعض التوصيات ومنها: أن موضوع الشهادة في سبيل الله من المواضيع التي يجب أن تحظى بمختلف الأبحاث من جميع جوانبها، وأن علينا توضيح معنى الشهادة في سبيل الله لأبنائنا بشتى الوسائل، ومنها المناهج الدراسية.

الكلمات المفتاحية: آيات، الشهداء، القرآن الكريم، دراسة تحليلة.

Abstract:

The research aimed to track and collect the verses that speak of martyrs in the Book of God Almighty, and to study them analytically in order to understand the reasons, meanings, occasions, topics, and other aspects contained within these verses. The nature of the research required that the scientific method be an analytical inductive approach. The study reached the most important findings, including: the status of martyrs in the Quran has risen to the highest levels, as they have become companions of the best of creation in the Gardens of Bliss, namely the prophets. Allah Almighty chose them for martyrdom, and among the greatest rewards that martyrs attained in the Quran is their victory in the Gardens of Bliss, and their enjoyment of the life they deserve with their Lord. The study also concluded with several recommendations, including that the topic of martyrdom in the cause of Allah is one that must receive various research from all its aspects, and that we must clarify the meaning of martyrdom in the cause of God to our children through various means, including school curricula.

Keywords: Verses, Martyrs, Holy Quran, Analytical Study.

المقدمة:

وردت الآيات القرآنية العديدة في الأمر بالجهاد في سبيل **الله**، وفي بيان فضل هذا الجهاد، وبيان ما رتبه **الله** تعالى من الفضل والثواب على الجهاد والرباط في سبيله، والمجاهد في سبيله تعالى له إحدى الحسنيين: إما نصر **الله** له في الدنيا، وهذا إعلاء من المجاهد لكلمة **الله** في الأرض، وانتصار لدينه تعالى، وتمكين له في الأرض، وهذا من أعظم القرب إلى **الله**. وإما شهادة ينالها المجاهد بالقتل في ميدان الحرب في سبيل الله، وقد اختصّ الله ﷻ الشهيد بمكانة سامية لا تدانيها مكانة في الدنيا ويوم القيامة، وفي جنات الخلود، ومن عظيم كرم الله لهؤلاء الشهداء الذين باعوا أنفسهم من أجل الله، وتساموا على ما يحبون، وتغلبوا على شهواتهم، واسترخصوا الحياة في سبيل الظفر بالشهادة نيلا لرضى الله أنه تعالى اختار لهم خير الأسماء والألقاب وخير الذكر، وخير الخلود، اختار لهم مكانة رفيعة تعد مضرب المثل في العلو والسمو، تلك المكانة التي لا يصل إليها إلا الأنبياء والمرسلون والشهداء، ومن اختارهم الله تعالى من عباده الصالحين. ويتضح ذلك من خلال النصوص الشرعية من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة الدالّة على ذلك.

لم تجد الباحثة حسب علمها، واطلاعها المحدود دراسة تحليلية أو موضوعية مستقلة في هذا الموضوع، إلا ما حوته كتب التفاسير من حديث عن هذه الآيات في سياق تفسير السور التي وردت فيها هذه الآيات.

إشكالية الدراسة: ستجيب الدراسة عن التساؤلات الآتية:

1- كم عدد آيات الشهداء في القرآن؟ وما هي مواضعها ومواضيعها؟

2- ماهي أقوال المفسرين فيما حوته هذه الآيات من معاني وغيرها؟

أهداف الدراسة:

تتبع وجمع الآيات التي تحدثت عن الشهداء في كتاب الله، ودراستها دراسة تحليلية؛ لمعرفة كل ما احتوت عليه هذه الآيات من أسباب ومعاني ومناسبات ومواضيع، وغيرها.

أهمية موضوع الدراسة:

1- يعنى بدراسة موضوع قرآني، ألا وهو آيات الشهداء في القرآن الكريم، وذلك يفتح لنا مجالاً للاستفادة من أسرار هذه الآيات وفهم مكنوناتها، ومدى انعكاسها على نفس المسلم.

2- لهذا الموضوع أهمية بالغة في حياة المؤمن وفي عصرنا الحاضر خصوصًا، حيث تكالبت قوى الكفر على عباد الله المؤمنين المتمسكين بدينهم، والقابضين عليه، لذا بات الجهاد في سبيل الله ضد هؤلاء الكفار من أولويات هؤلاء المؤمنين، لذلك يجب علينا الإسهام في توضيح ما أعده الله لهؤلاء المجاهدين حين يلقون الشهادة في سبيله.

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

1- أن بداية التفكير في هذا العنوان تكون عند الباحثة أثناء الحرب الصهيونية الأخيرة على غزة، ونتيجة لتكرار مناظر الشهداء التي كنا نراها كل لحظة، والتي أثرت فينا بشكل كبير، ومزقت قلوبنا، حيث أصبحت تلك المناظر لا تفارق الباحثة، كل ذلك دفعها إلى البحث في آيات القرآن الكريم عن النعيم الذي أعده الله لهؤلاء الشهداء.

2- أن الآيات القرآنية التي تحدثت عن الشهداء لم تصرح بلفظ الشهيد إلا في أربع آيات فقط، بينما جاءت باقي الآيات لتتحدث عن الشهداء بالمعنى، لذلك كان من المهم الإلمام بهذه الآيات ومعرفة ما ترمي إليه معانيها، ومعرفة مقاصدها.

منهج الدراسة: اقتضت الدراسة تطبيق:

- المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال استقراء النصوص القرآنية التي تحدثت عن الشهداء، وجمع المادة العلمية المتعلقة بتفسير الآيات. وقد قسمت آيات الشهداء إلى مجموعات، ووضعت كل مجموعة منها تحت عنوان مناسب.
- المنهج التحليلي: من خلال النظر في معاني الآيات وتحليلها تحليلاً تفسيريًا.

التمهيد: التعريف بموضوع الدراسة:

أولاً: تعريف كلمة الشهيد لغة واصطلاحًا:

الشهيد لغة: الذي يستشهد، الشهيد: الحي[1]. وقيل: شهد: الشين والهاء والدال أصلٌ يدلُّ على حضور وعلم وإعلام[2]. الشهيد في الاصطلاح: من قتل مجاهدا في سبيل الله[3].

وسمي الشهيد شهيدا لأن الله وملائكته شهدوا له بالجنة، وقيل: سموا شهداء لأنهم ممن يستشهد يوم القيامة مع النبي ﷺ على الأمم الخالية[4]. وقيل: سمِّيَ بذلك لأنّ ملائكة الرحمة تشهده، أي تحضُره. وقال آخرون: سمِّي بذلك لسقوطه بالأرض، والأرض تسمَّى الشاهدة[5]. وقيل أيضا: سمي بذلك لأنه مشهود له بالجنة أو لأنه حي عند الله حاضر[6].

---

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: 73/6.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 221/3.

(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: 513/2.

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: 6/ 73، 74.

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 221/3.

(6) المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب: 459/1.

وعند المفسرين يرى الماوردي (ت450هـ) في تسمية الشهيد قولان: أحدهما: لقيامه بشهادة الحق، حتى قتل في سبيل الله. والثاني: لأنه يشهد كرامة الله في الآخرة، ويشهد على العباد بأعمالهم يوم القيامة إذا ختم له بالقتل في سبيل الله[1]. وقال الأصفهاني (ت502هـ): "سموا بذلك لأنهم يشهدون في تلك الحالة ما أعد لهم من النعيم، أو لأنهم تشهد أرواحهم عند الله"[2].

ثانيًا: ورود لفظة الشهداء في القرآن الكريم:

من خلال تتبع آيات القرآن الكريم نجد أن مادة (شهد) ومشتقاتها تكررت في القرآن (157) مرة، بمعان مختلفة ومتعددة، منها 78 لفظة لم يكن لها علاقة بمصطلح الشهيد الذي نحن بصدد دراسته من حيث المعنى، ومنها 79 لفظة كان لأغلبها علاقة بمصطلح الشهيد من حيث اللفظ فقط، والقليل منها كانت له علاقة بمصطلح الشهيد لفظا ومعنى، وبيان ذلك كما يلي:

- (شهيد) جاءت 36 مرة، ليس فيها مرة واحدة تعني من قتل في سبيل الله.
- (شهادة) جاءت 23 مرة، ليس فيها مرة واحدة تعني القتل في سبيل الله.
- (شهداء) جاءت نحو 20 مرة في أكثر من موضع، ولكنها لا تختص بمن قتل في سبيل الله فقط. بل تأتي على هذا النحو: لمن قتل في سبيل الله وغيرهم. فأحيانا تأتي بمعنى شهداء المعركة وذلك في ثلاث آيات فقط، وأحيانا تأتي بوصف عام للأمة، أو بمعنى الحضور، أو العلم بالشيء، أو الإدلاء بالشهادة بما قدمه الرسل، أو الإدلاء بها ابتغاء وجه الله.

فعلى الرغم من تكرار لفظ (الشهداء) في القرآن الكريم، لم يرد شيء منه بمعنى القتل في سبيل الله سوى في ثلاث آيات فقط حسب تصريح المفسرين، وهذه الآيات هي:

قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: 19].

فكلمة (شهيد)، وكلمة (الاستشهاد)، وكلمة (الشهادة) بالمعنى الاصطلاحي لم ترد في القرآن، ولم ترد غير كلمة شهداء بمعنى القتل في سبيل الله وذلك في 3 آيات فقط، كما سبق وأن بينا، ولكن نجد آيات قرآنية تحدثت عن الشهيد الذي يقتل في سبيل الله، بالمعنى فقط دون اللفظ،

[1] الماوردي، النكت والعيون: 504/1، 505.

[2] الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 269/1.

وذلك في 14 آية، في 8 سور من سور القرآن الكريم، ليكون مجموع الآيات التي تحدثت عن الشهداء بمعنى القتل في سبيل الله سواء بالمعنى فقط، أو باللفظ والمعنى سبعة عشر آية، في تسع سور من سور القرآن الكريم.

المبحث الأول: مكانة الشهداء في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الشهداء رفقاء لخير الخلق في الجنة، ومقامهم عند ربهم.

بين الله سبحانه المكانة العظيمة للشهداء حين جعلهم رفقاء لخير خلقه وهم الأنبياء، ثم الصديقين والصالحين في جنات النعيم، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

سبب نزول الآية: نزلت هذه الآية في "ثوبان" مولى رسول الله ﷺ، وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن، فقال له: يا ثوبان ما غير لونك؟ فقال: يا رسول الله ما بي من ضر ولا وجع، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لأني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وأني وإن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك أحرى أن لا أراك أبدا، فأنزل الله تعالى هذه الآية [1].

الوجوه النحوية في الآية: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾، وحد الرفيق وهو صفة لجمع لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجمع[2]. وقيل: ﴿رَفِيقًا﴾ منصوب على التمييز، ينوب عن رفقاء[3]، وقيل: أنه منصوب على الحال[4]. وقيل: ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ حال من ﴿الَّذِينَ﴾، أو من المجرور في ﴿عَلَيْهِم﴾، و ﴿أُولَئِكَ﴾ فاعل ﴿وَحَسُنَ﴾[5]. وقيل: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ فيه معنى التعجب؛ كأنه قيل: وما أحسن أولئك رفيقا؛ لاستقلاله بمعنى التعجب[6].

المناسبة بين الآية وما قبلها: ذكر البقاعي (ت885هـ) أنه لما رغب في العمل بمواعظه، وكان الوعد قد يكون لغلظ في الموعوظ، وكان ما قدمه في وعظه أمرًا مجملاً؛ رغب بعد ترقيقه بالوعظ

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 165.
(2) الفراء، معاني القرآن: 268/1.
(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 73/2.
(4) ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن: 258/1.
(5) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 258.
(6) الزمخشري، الكشاف: 104/2.

مطلق الطاعة التي المقام كله لها، مفصلاً إجمال ما وعد عليها فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ﴾ أي في امتثال أوامره والوقوف عند زواجره مستحضرًا عظمته، ولما أخبر أن المطيع مع هؤلاء، لم يكتف بما أفهم ذكرهم من جلالهم وجلال من معهم، بل زاد في بيان علو مقامهم ومقام كل من معهم بقوله: ﴿وَحَسُنَ﴾ أي: وما أحسن، ﴿أُولَئِكَ﴾ أي العالو الأخلاق السابقون يوم السباق[1].

أما القرطبي (ت671هـ) فيقول: "لما ذكر تعالى الأمر الذي لو فعله المنافقون حين وعظوا به وأنابوا إليه لأنعم عليهم، ذكر بعد ذلك ثواب من يفعله"[2].

القراءات: قرأ الجمهور: {وحسُن} بضم السين، وهي الأصل. وقرأها غيرهم: {وحسْن} بسكون السين[3].

المعنى العام للآية: فسر الطبري (ت310هـ) الآية كما يلي: ذكر جل ثناؤه ما وعد أهل طاعته وطاعة رسوله، من الكرامة الدائمة لديه، والمنازل الرفيعة عنده.﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بالتسليم لأمرهما، وإخلاص الرضى بحكمهما، والانتهاء إلى أمرهما، والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه، وفي الآخرة إذا دخل الجنة، والشهداء جمع شهيد، وهو المقتول في سبيل الله، سمي بذلك لقيامه بشهادة الحق في جَنب الله حتى قتل[4]. وبين البغوي (ت516هـ) في معنى الآية: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ أي أي لا تفوتهم رؤية الأنبياء ومجالستهم، ﴿وَالشُّهَدَاء﴾ قيل: هم الذين استشهدوا في يوم أُحد، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ سائر الصحابة ﷺ، ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ يعني: رفقاء الجنّة[5]. وقيل: وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده[6].

ويرى القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ﴾ أن هذه الآية تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين﴾ [الفاتحة: ٧]، ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم﴾ أي هم معهم في دار واحدة ونعيم واحد، يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم، لا أنهم يساوونهم في

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 276/2.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 447/6.

(3) الكرماني، شواذ القراءات: 137، الأندلسي، البحر المحيط: 301/3.

(4) الطبري، جامع البيان: 210/7-212.

(5) البغوي، معالم التنزيل: 247/2.

(6) الزمخشري، الكشاف: 104/2.

الدرجة؛ فإنهم يتفاوتون، لكنهم يتزاورون للاتباع في الدنيا والاقتداء. وكل من فيها قد رزق الرضا بحاله، وقد ذهب عنه اعتقاد أنه مفضول[1].

أما البيضاوي (ت791هـ) ففسر هذه الآية كما يلي: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم﴾ مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدرا، ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ﴾ قسمهم أربعة بحسب منازلهم في العلم والعمل، وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم، وهم: الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل، ثم الصديقون، ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله تعالى[2].

وفي آية أخرى يبين الله سبحانه المكانة الرفيعة للشهداء، حين وصف مقامهم في الجنة بأنه عنده ﷻ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: 19].

الوجوه النحوية في الآية: فصل أبو المفسرين الأقوال في هذه الوجوه كما يلي: ﴿وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: والشهداء عند ربهم منفصل من الذي قبله، والخبر عن الذين آمنوا بالله ورسله، متناه عند قوله: ﴿الصِّدِّيقُونَ﴾، والصدّيقون مرفوعون بقوله: ﴿هُمُ﴾ ثم ابتدئ الخبر عن الشهداء فقيل: ﴿وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، والشهداء في قولهم مرفوعون بقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. وقال آخرون: بل قوله ﴿وَالشُّهَدَاء﴾ من صفة الذين آمنوا بالله ورسله؛ قالوا: إنما تناهى الخبر عن الذين آمنوا عند قوله: ﴿وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثم ابتدئ الخبر عما لهم، فقيل: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. وقال آخرون: الشهداء عند ربهم في هذا الموضع: النبيون الذين يشهدون على أممهم. والذي هو أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الكلام والخبر عن الذين آمنوا، متناه عند قوله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾، وإن قوله: ﴿وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدأ عن الشهداء.

وإنما قلنا: إن ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر، وأنّ الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره، فتأويل قوله: ﴿وَالشُّهَدَاء

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/ 247،249.
[2] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 1/ 369.

عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ إذن: والشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله، أو هلكوا في سبيله عند ربهم، لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم[1].

المناسبة في الآية: إن الله ﷻ لما ذكر حال المؤمنين، أتبعه بذكر حال الكافرين فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[2]. وقيل: ولما ذكر أهل السعادة جامعًا لأصنافهم، أتبعهم أهل الشقاوة لذلك قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3].

المعنى العام للآية: ﴿وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: المحسن إليهم بالتربية لمثل تلك الرتبة العالية[4]. وفي قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ إشارة إلى منزلتهم ومكانتهم عند الله[5]. وهناك تفسير آخر للآية عند الزمخشري (ت538هـ): المعنى أنّ المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء؛ وهم الذي سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله[6].

ويرى سيد قطب (ت1378هـ): أن الحديث عن مقام الشهداء ورد مرات في القرآن، وتواترت به الأحاديث النبوية، فهذا الدين لا يقوم بغير حراسة؛ ولا يتحقق في الأرض بغير جهاد، جهاد لتأمين العقيدة وتأمين الدعوة وحماية أهله من الفتنة وشريعته من الفساد، ومن ثم كان للشهداء في سبيل الله– وهم وحدهم الذين يسمون شهداء –مقامهم، وكان لهم قربهم من ربهم، القرب الذي يعبر عنه بأنهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾[7].

المطلب الثاني: اتخذ الله تعالى أناسًا معينين شهداء من بين الآخرين.

لقد منّ الله على من يشاء من عباده بالنعم، واختار منهم أصفياء وشهداء، وقد بين الله سبحانه ذلك في سورة آل عمران، حيث ذكر أن من قتل في سبيله فقد اتخذه الله واصطفاه على الآخرين، قال ﷻ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِين﴾ [آل عمران: ١٤٠].

---

(1) الطبري، جامع البيان: 22/412–416.
(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 29/202.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/451.
(4) الشربيني، السراج المنير: 4/ 146.
(5) السمعاني، تفسير القرآن: 5/ 374.
(6) الزمخشري، الكشاف: 6/ 49.
(7) قطب، في ظلال القرآن: 6/ 3490.

سبب نزول الآية: ذكر السيوطي (ت911هـ) في سبب النزول: لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخبرن، فإذا رجلان مقتولان على دابة، فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: حي، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء، ونزل القرآن على ما قالت: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾ [1].

القراءات في الآية: اختلفوا في فتح القاف وضمها من قوله ﴿قَرْحٌ﴾، فقرأ جماعة: {قَرح} في كلهن بفتح القاف، وقرأ آخرون: {قُرح} بضم القاف في جميعهن، وكلهم أسكن الراء من {قَرْح} [2].

الوجوه النحوية في الآية: قال الطبري: "﴿وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره: وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ولو لم يكن في الكلام "واو"، لكان قوله: "ليعلم" متصلا بما قبله، وكان ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ليعلم الله الذين آمنوا. ولكن لما دخلت "الواو" فيه، آذنت بأن الكلام غير متصل بما قبلها، وأن بعدها خبرًا مطلوبًا، اللام التي في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ به متعلقة. فتأويل الكلام: وليعلم الله الذين آمنوا منكم، أيها القوم، من الذين نافقوا منكم، نداول بين الناس، فاستغنى بقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾، من ذكر قوله: "من الذين نافقوا"؛ لدلالة الكلام عليه"[3].

المناسبة في الآية: لما نهاهم الله تعالى عما تقدم وبشرهم، سلاهم وبصرهم بقوله: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي مصيبة بإدالتهم عليكم اليوم، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ على أنه كما أنه ظفرهم- بعدما أصابهم وأنكأهم[4] يوم بدر ويوم أحد بالقتل والهزيمة أول النهار وهم أعداؤه- فهو جدير بأن يظفركم بعد وهنكم وأنتم أولياؤه، فكما لم يضعفهم وهنهم وهم على الباطل فلا تضعفوا أنتم وأنتم على الحق، ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ﴾ ولما نبه على تعظيمها بأداة البعد، وكانت إنما تعظم بعظم أحوالهما ذكر الحال المنبه عليها بقوله: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي بأن نرفع من نشاء تارة ونرفع عليه أخرى، ولما كان التقدير: ليدال على من كانت له الدولة، فيعلم كل أحد أن الأمر لنا بلا شريك ولا منازع عطف عليه قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ أي المحيط بجميع الكمال، ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ أي بتصديق دعوى الإيمان بنية الجهاد فيكرمهم[5].

---

[1] السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول: 58.

[2] ابن مجاهد، السبعة في القراءات: 216.

[3] الطبري، جامع البيان: 6/85-86.

[4] أنكأهم: يقال: نكيت في العدو أنكى نكاية أي: هزمته وغلبته. ابن منظور، لسان العرب: 14/ 275.

[5] البقاعي، نظم الدرر: 2/160.

وفسر صاحب الضلال قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ والتعبير بأن الله لا يحب الظالمين يثير في نفس المؤمن بغض الظلم وبغض الظالمين. وهذه الإثارة في معرض الحديث عن الجهاد والاستشهاد لها مناسبتها الحاضرة. فالمؤمن إنما يبذل نفسه في مكافحة ما يكرهه الله ومن يكرهه. وهذا هو مقام الاستشهاد، وفي هذا تكون الشهادة، ومن هؤلاء يتخذ الله الشهداء [1].

المعنى العام للآية: بين الطبري معنى الآية: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ﴾ إن يصبكم، والقرح: القتل والجراح، ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أيام بدر وأحُد، نجعلها دُوَلا بين الناس مصرَّفة، ويعني بالناس: المسلمين والمشركين، وذلك أن الله ﷻ أدال المسلمين من المشركين ببدر، فقتلوا منهم (70) وأسروا (70)، وأدال المشركين من المسلمين بأحُد، فقتلوا منهم (70)، سوى من جرحوا منهم [2]. وقال الزمخشري: "والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا"[3].

أما الخازن (ت678هـ) ففسر الآية: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾ يعني وليكرم قومًا منكم بالشهادة ممن أراد أن يكرمهم بها؛ وذلك لأن قومًا من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو، وأن يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة [4]. وقيل: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾ يعني: يُقْتَلُون في سبيله، ويَبْذُلون مُهَجهم في مرضاته [5]. وذكر الفيروز آبادي (ت817هـ) أن الاتِّخاذ ورد في القرآن على (13) وجهًا. منها: بمعنى الإكرام: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾ أي: يكرمهم بالشَّهادة [6]. وقيل: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾ أي: بأن يجعل قتلهم عين الحياة التي هي الشهادة، لا غيبة غيبة فيها، فهو ﷻ يزيد في إكرامهم بما صدقوا في إيمانهم بأن لا يكون مشهودًا عليهم أصلاً بفتنة في قبورهم ولا غيرها، ولا يغفلوا بخوف ولا صعق ولا غيره [7]. أما السعدي (ت1376هـ) فذكر في هذه الآية: ثم سلاهم الله ﷻ بما حصل لهم من الهزيمة، وبيَّن الحكم العظيمة المترتبة على ذلك، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾ وهذا من بعض الحكم؛ لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن: 1/ 482.
[2] الطبري، جامع البيان: 6/ 80،82.
[3] الزمخشري، الكشاف: 1/ 631.
[4] الخازن، لباب التأويل: 1/ 426.
[5] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 200.
[6] الفيروز ابادي، بصائر ذوي التمييز: 2/ 58.
[7] البقاعي، نظم الدرر: 2/ 160.

لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم [1].

ومن جميل كلام سيد قطب: إن الشهداء لمختارون، يختارهم الله من بين المجاهدين ويتخذهم لنفسه سبحانه، فما هي خسارة أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد، إنما هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص، إن هؤلاء هم الذين اختصهم الله ورزقهم الشهادة ليستخلصهم لنفسه ويخصهم بقربه، ثم هم شهداء يتخذهم الله ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداء لا شبهة فيه ولا مطعن عليه ولا جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق وتقريره في دنيا الناس [2].

المطلب الثالث: الشهداء باعوا الدنيا بالآخرة، واشترى الله منهم أنفسهم.

جاء هذا الوصف العظيم، والذي يحمل كل معاني المكانة الرفيعة للشهداء عند الله في قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

الوجوه النحوية في الآية: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ شرط، ﴿فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ﴾عطف عليه، والمجازاة ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [3].

المناسبة في الآية: ذكر البقاعي في مناسبة الآية: لما بين الله تعالى أن محط حال القاعد عن الجهاد الدنيا، عُلم أن قصد المجاهد الآخرة، فسبب عن ذلك قوله: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾، ولما كان التقدير: فإنه من قعد عن الجهاد فقد رضي في الآخرة بالدنيا، عطف عليه قوله: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: فيريد إعلاء كلمة الملك المحيط بصفات الجمال والجلال، والآية من الاحتباك: ذكرُ القتل أولاً دليل على السلامة ثانيًا، وذكر الغالبية ثانيًا دليل على المغلوبية أولاً [4].

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 150.
[2] سيد قطب، في ظلال القرآن: 481/1.
[3] النحاس، إعراب القرآن: 471/1.
[4] البقاعي، نظم الدرر: 280/2.

معاني المفردات: قال الأصفهاني: "لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر. وشريت بمعنى بعت أكثر، وابتعت بمعنى اشتريت أكثر، قال ﷻ: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، أي: باعوه، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾"[1].

المعنى العام للآية: ذكر الطبري في تفسيره للآية: وهذا حضٌّ من الله المؤمنين على جهاد عدوه من أهل الكفر به، وأن لهم في جهادهم إياهم- مغلوبين كانوا أو غالبين- منزلة من الله رفيعة، ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ يعني: الذين يبيعون حياتهم الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله أهل طاعته فيها، وبيعُهم إياها بها: إنفاقهم أموالهم في طلب رضا الله، لجهاد من أمر بجهاده من أعدائه وأعداء دينه، وبَذْلهم مُهَجهم له في ذلك [2]. ويرى أبو حيان (ت745هـ) في تفسير الآية: واكتفى في الحالتين بالغاية؛ لأن غاية المغلوب في القتال أن يُقتل، وغاية الذي يَقتل أن يغلب ويغنم، فأشرف الحالتين ما بدأ به من ذكر الاستشهاد في سبيل الله، ويليها أن يقتل أعداء الله [3].

ويضيف ابن عاشور (ت1393هـ): وإسنادُ القتال المأمور به إلى أصحاب هذه الصلة وهي: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ للتنويه بفضل المقاتلين في سبيل الله؛ لأنّ في الصلة إيماء إلى علّة الخبر، أي يبعثهم على القتال في سبيل الله بَذْلُهم حياتهم الدنيا لطلب الحياة الأبدية، وفضيحة أمر المبطّئين حتى يرتدعوا عن التخلّف، وحتّى يُكشف المنافقون عن دخيلتهم، فكان معنى الكلام: فليقاتل في سبيل الله المؤمنون حقّاً فإنّهم يشرون الحياة الدنيا بالآخرة [4].

وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

سبب نزول الآية: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا، قال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: «الجنة»، قالوا: ربح البيع لا نقيل [5] ولا نستقيل، فنزلت هذه الآية [1].

---

[1] الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 260/1.

[2] الطبري، جامع البيان: 7/ 222،223.

[3] الأندلسي، البحر المحيط: 3/ 307.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 121،122.

[5] نقيل: النَّقْلُ تحويلُ الشيء من موضع إلى موضع، والتَّنَقُّل التحوُّل. ابن منظور، لسان العرب: 14/ 269.

الوجوه البلاغية والنحوية: بين ابن عاشور هذه الوجوه كما يلي: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله، ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ استئناف ببيان ما لأجله الشراء، وقيل: ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ في معنى الأمر، ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فإنه في معنى الوعد، ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ مذكورا فيهما كما أثبت في القرآن، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ مبالغة في الإنجاز وتقرير لكونه حقا[2]. وقوله: ﴿فَاسْتَبْشِرُواْ﴾ فيه التفاتٌ من الغَيْبَة إلى الخطاب؛ لأنَّ في خطابهم بذلك تشريفًا لهم، وقوله: ﴿الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ توكيدٌ كقوله: ﴿الَّذِي بَنَوْاْ﴾ [التوبة: 110]، لينصَّ لهم على هذا البيعِ بعينه [3]. وقيل: جملة: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن اشتراء الأنفس والأموال لغرابته في الظاهر يثير سؤال من يقول: كيف يبذلون أنفسهم وأموالهم؟ فكان جوابه: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [4].

المناسبة في الآية: قدم النفس إشارة إلى المبايعة سابقة على اكتساب المال، فقال مقدمًا للأعز: ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ أي التي تفرد بخلقها، ﴿وَأَمْوَالَهُم﴾ أي التي تفرد برزقها وهو يملكها دونهم، ولما كان ذلك سبباً للتبشير؛ لأنه لا ترغيب في الجهاد أحسن منه، قال مهنئًا لهم: ﴿فَاسْتَبْشِرُواْ﴾ أي فأوجدوا في نفوسكم غاية البشر يا معشر المجاهدين، ولما ذكره في ابتداء العقد بلفظ يدل على التأكيد، ذكره في آخره بلفظ يدل على السعة إشارة إلى سعة الجزاء، فقال: ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم﴾ أي أوقعتم المبايعة لله ﴿بِهِ﴾، فإنه موفيكم لا محالة، فذلك هو الأجر الكريم[5].

القراءات: قرأها البعض: {فيُقتلون ويَقتلون} يبدآن بالمفعول قبل الفاعل، والباقون يبدؤون بالفاعل قبل المفعول [6].

المعنى العام للآية: قال السمعاني (ت489هـ): "إن الله تعالى أمر المسلمين بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وجعل لهم الجنة ثوابا عليه، فجعل هذا بمنزلة الشراء والبيع"[7]. ويقول

---

(1) الواحدي، أسباب النزول: 260.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/ 81.
(3) الحلبي، الدر المصون: 6/ 128،129.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/ 38.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 3/ 389،390.
(6) الداني، التيسير في القراءات السبع: 77.
(7) السمعاني، تفسير القرآن: 2/ 350.

الهراسي (ت504هـ): "ومن المجاز المستحسن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ فجعل بذل أنفسهم في الجهاد وإنفاقهم في ذلك طلبًا للثواب بيعًا، وجعل ما طلبوه ثمنًا، ولما كان تعالى هو المرغب في ذلك والداعي إليه، وصف نفسه بأنه اشترى أنفسهم، كما وصفوا بأنهم باعوا وابتاعوا، وفي ذلك دلالة على عظم محل الجهاد ومنزلته"[1].

قال أهل المعاني: لا يجوز أن يشتري الله شيئًا في الحقيقة لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملك، ولهذا قيل: اشترى أنفسًا هو خلقها، وأموالاً هو رزقها، لكن هذا ذكره تعالى لحسن التلطف في الدعاء إلى الطاعة، وحقيقة هذا: أن المؤمن متى قاتل في سبيل الله حتى يقتل، فتذهب روحه، وينفق ماله في سبيل الله، أخذ من الله في الآخرة الجنة جزاء لما فعل، فجعل هذا استبدالاً وشراء، هذا معنى قوله: ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾[2].

ويرى الألوسي (ت1270هـ) أن قوله تعالى: ﴿الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ لزيادة تقرير بيعهم وللإشعار بتميزه على غيره فإنه بيع الفاني بالباقي، ولأن كلا البدلين له ﷻ، ﴿وَذَلِكَ﴾ أي البيع الذي أمرتم به ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾، وما في ذلك من البعد إشارة إلى بعد منزلة المشار إليه وسمو رتبته في الكمال، والجملة تذليل مقرر لمضمون الأمر السابق، ويجوز أن يكون تذليلا للآية الكريمة والإشارة إلى الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من أنفسهم وأموالهم، وفي ذلك إعظام للثمن ومنه يعلم حال المثمن [3].

وبين السعدي معنى الآية: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ﴾ أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله، ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ أي: لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضا، ويحث بعضكم بعضا ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾ الذي لا فوزًا أكبر منه، ولا أجَّل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله ﷻ، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان، وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق [4].

---

[1] الهراسي، أحكام القرآن: 2/ 218.
[2] الرازي، مفاتيح الغيب: 16/ 158- 160.
[3] الألوسي، روح المعاني: 11/ 29.
[4] السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 353.

ونختم بكلام صاحب الظلال: وحقيقة هذه البيعة أو هذه المبايعة كما سماها الله كرمًا منه وفضلاً وسماحة: أن الله قد استخلص لنفسه أنفس المؤمنين وأموالهم؛ فلم يعد لهم منها شيء، لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية لا ينفقونها في سبيله، لم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا، كلا إنها صفقة مشتراة، لشاريها أن يتصرف بها كما يشاء، وفق ما يفرض ووفق ما يحدد، وليس للبائع فيها من شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم، والثمن: هو الجنة، والطريق: هو الجهاد والقتل والقتال، والنهاية: هي النصر أو الاستشهاد [1].

المطلب الرابع: الشهداء صدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه.

بين القرآن أن من الشهداء من بذل جهده على الوفاء بعهده حتى استشهد ومنهم من ينتظر الشهادة، وما بدلوا عهدهم ونذرهم، فقد تولى الله هؤلاء الرجال بالصدق في أقوالهم وأحوالهم، وصدق الحال بالشهادة أقصى الغاية في الوفاء؛ لأنه شديد على النفس. يقول تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

معاني المفردات: والنحب: النذر في كلام العرب، وللنحب أيضا في كلامهم وجوه غير ذلك، منها الموت[2].

سبب نزول الآية: عن أنس قال: غاب عمى أنس بن النضير وبه سميت أنسا عن قتال بدر، فشق عليه لما قدم وقال: غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، والله لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك فيما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد والذى نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقاتلهم حتى قتل، قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم، وقد مثلوا به، وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، ونزلت هذه الآية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، قال: وكنا نقول: أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه. وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ﴾ نزلت في طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم أوجب لطلحة الجنة» [3].

---

[1] قطب، في ظلال القرآن: 3/ 1716،1717.

[2] الطبري، جامع البيان: 19/ 61.

[3] الواحدي، أسباب النزول، 352،353.

الوجوه النحوية والبلاغية في الآية: موضع ﴿مَا﴾ نصب ب ﴿صَدَقُوا﴾ [1]. وفعل الصدق يستعمل قاصرًا وهو الأكثر، ويستعمل متعديًا إلى المخبَر بفتح الباء، يقال: صدقه الخبر، أي قال له الصدق، ولذلك فإن تعديته هنا إلى: ﴿مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إنما هو على نزع الخافض، أي: صدقوا فيما عاهدوا الله عليه [2].

المناسبة في الآية: بين البقاعي المناسبة أنه لما كان العهد عند ذوي الهمم العلية، والأخلاق الزكية، لشدة ذكرهم له ومحافظتهم على الوفاء به، وتصوره لهم حتى كأنه رجل عظيم قائم تجاههم، يتقاضاهم الصدق، عدى الفعل إليه فقال: ﴿مَا عَاهَدُوا اللَّهَ﴾ المحيط علمًا وقدرة وجلالاً وعظمة، ولما ذكر الصادقين، وكان ربما فهم أن الصدق لا يكون إلا بالقتل، قسمهم قسمين مشيرًا إلى خلاف ذلك بقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَى﴾ أي: أعطى، ﴿نَحْبَهُ﴾ أي: نذره في معاهدته، أنه ينصر رسول الله ﷺ ويموت دونه، وفرغ من ذلك وخرج من عهدته بأن قتل شهيدًا، فلم يبق عليه نذر، ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: الصادقين، ﴿مَّن يَنتَظِرُ﴾ قضاء النحب إما بالنصرة، أو الموت على الشهادة، أو مطلق المتابعة الكاملة. ولما كان المنافقون ينكرون أن يكون أحد صادقًا فيما يظهر من الإيمان، أكد قوله تعريضًا بهم، ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ أي: وما أوقعوا شيئًا من تبديل بفترة أو توان [3].

المعنى العام للآية: قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسوله، ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضرّاء، وحين البأس، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ﴾ يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره لله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أُحد، وبعض في غير ذلك من المواطن، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوّه. وقوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ وما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم تغييرا" [4].

المطلب الخامس: وصف الله شهادة الشهداء بإحدى الحسنيين.

---

[1] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 222.
[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 307.
[3] البقاعي، نظم الدرر: 6/ 93،94.
[4] الطبري، جامع البيان: 19/ 61،67.

وصف الله الشهادة في سبيله بوصف يدل على عظم منزلة الشهادة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُون﴾ [التوبة: ٥٢].

معاني المفردات: قال الأصفهاني: "التربص الانتظار بالشيء سلعة كانت يقصد بها غلاء أو رخصا. أو أمرا ينتظر زواله أو حصوله، يقال تربصت لكذا ولي ربصة بكذا وتربص" [1].

الوجوه النحوية في الآية: الاستفهام مستعمل في النفي بقرينة الاستثناء، ومعنى الكلام توبيخ لهم وتخطئة لتربّصهم لأنّهم يتربّصون بالمسلمين أن يقتلوا، ويغفلون عن احتمال أن ينصروا فكان المعنى: لا تتربّصون بنا إلا أن نقتل أو نغلِب وذلك إحدى الحسنيين [2].

المعنى العام للآية: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفتُ لك صفتهم وبينت لك أمرهم: هل تنتظرون بنا إلا إحدى الخَلَّتين اللتين هما أحسن من غيرهما، إما ظفرًا بالعدو وفتحًا لنا بِغَلَبَتِناهم، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة، وإما قتلا من عدوِّنا لنا، ففيه الشهادة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، وكلتاهما مما نُحبُّ ولا نكره [3]. فإما الظفر بالأعداء والنصر عليهم ونيل الثواب الأخروي والدنيوي، وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق، وأرفع المنازل عند الله [4].

المبحث الثاني: فضل الشهداء وجزاؤهم في القرآن الكريم، وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: نيل الشهداء للحياة الحقيقية عند ربهم بما فيها من نعم، وفيه فرعان:

أولاً: الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون

يبين الله في الآيات التالية الحياة التي يتمتع بها من ماتوا شهداء في سبيله، بما فيها من رزق بدني وعطاء غير منقطع من الله ﷻ لهم، يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُون﴾ [البقرة: ١٥٤].

---

[1] الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 185.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/ 224.

[3] الطبري، جامع البيان: 11/ 496.

[4] السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 340.

سبب النزول: نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا بضعة عشر رجلا، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها، فأنزل الله هذه الآية [1].

المناسبة في الآية: يقول السعدي: "لما ذكر الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأمور ذكر نموذجا مما يستعان بالصبر عليه، وهو الجهاد في سبيله، وهو أفضل الطاعات البدنية، وأشقها على النفوس، لمشقته في نفسه، ولكونه مؤديا للقتل، وعدم الحياة، التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها، فكل ما يتصرفون به، فإنه سعى لها، ودفع لما يضادها. ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون"[2].

الوجوه النحوية في الآية: ارتفع ﴿أَمْوَاتٌ﴾ على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي لا تقولوا هم أموات. و﴿بَلْ﴾ للإضراب الإبطالي إبطالا لمضمون المنهي عن قوله، والتقدير بل هم أحياء، وليس المعنى بل قولوا هم أحياء؛ لأن المراد إخبار المخاطبين هذا الخبر العظيم، فقوله: ﴿أَحْيَاء﴾ هو خبر مبتدأ محذوف وهو كلام مستأنف بعد ﴿بَلْ﴾ الإضرابية [3].

المعنى العام للآية: قال الطبري: "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: هو ميت، فإن الميت من خلقي من سلبته حياته وأعدمته حواسه، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيما، فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي، أحياء عندي، في حياة ونعيم، وعيش هني، ورزق سني، فرحين بما آتيتهم من فضلي، وحبوتهم به من كرامتي"[4]. وبين الخازن في معنى الآية: لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الأموات بل هم أحياء تصل أرواحهم إلى الجنان، فهم أحياء من هذه الجهة، وإن كانوا أمواتًا من جهة خروج الروح من أجسادهم، فإن قلت: أليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل إليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خصص الشهداء بالذكر؟ قلت: إنما خصهم لأن الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك، وجواب آخر أنه

---

[1] الواحدي، أسباب النزول: 44.

[2] السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 75.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 53.

[4] الطبري، جامع البيان: 2/ 699.

رد لقول من قال: إن من قتل في سبيل الله قد مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها، فأخبر الله تعالى بقوله: ﴿بَلْ أَحْيَاء﴾ بأنهم في نعيم دائم[1].

ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

سبب نزول الآية: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا في الجنة نرزق؛ لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا في الحرب، فقال الله ﷻ: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل ﷻ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [2]» [3].

القراءات: قرأها البعض: {الذين قتلوا} بتشديد التاء، وقرأ الباقون بتخفيفها، وقرأ البعض: {ولا يحسبن الذين قتلوا} بالياء، وقراءة الباقون بالتاء [4].

المعنى العام للآية: ذكر الطبري في معنى الآية: إن الذي خص الله به الشهداء في ذلك، وأفاد المؤمنين بخبره عنهم، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يطعمها الله أحدا غيرهم في برزخه قبل بعثه. فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم، وقال: ﴿الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ يعني: الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿أَمْوَاتًا﴾ يقول: ولا تحسبنهم يا محمد أمواتًا، لا يحسُّون شيئًا، ولا يلتذُّون ولا يتنعمون، فإنهم أحياء عندي، متنعمون في رزقي، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي، وحبَوْتهم به من جزيل ثوابي وعطائي [5].

وقد بين ذلك نبينا الكريم، حيث جاء في الحديث الشريف: سألنا عبد الله (هو بن مسعود) عن هذه الآية: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث

---

[1] الخازن، لباب التأويل: 1/ 127.

[2] الحاكم، المستدرك: 97/2، كتاب الجهاد، حديث (2444)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

[3] الواحدي، أسباب النزول: 128،129.

[4] ابن الجزري، تحبير التيسير: 329.

[5] الطبري، جامع البيان: 6/ 227،228.

شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا»[1].

واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح أو للجسم والروح معًا، فمن أثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله ﷺ المذكور أعلاه، فخص الأرواح دون الأجساد، وقال بعض المفسرين: إنّ أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة. ومن أثبت الحياة للروح والجسم معًا قال: يدل عليه سياق الآية وهو قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، فأخبر الله ﷻ أنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالأحياء، وقيل: إن الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الأرض كغيره[2]. وهذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، ولفظ: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم [3].

وفي آية ثالثة يقول تعالى عن رزق الشهداء: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨].

القراءات: قراءة البعض: {ثم قتلوا} بتشديد التاء، والباقون بتخفيفها [4].

الوجوه النحوية: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ جواب قسم محذوف، والجملة خبر الموصول بتقدير القول، وانتصاب ﴿رِزْقًا﴾ على أنه مفعول ثان أي مرزوقا حسنا، أو على أنه مصدر مؤكدة [5]. وأكدت الجملة بحرف التوكيد ولامه وضمير الفصل تصويرًا لعظمة رزق الله تعالى [6].

المناسبة في الآية: قال البقاعي: "لما كان أكثر ما يخاف من الهجرة القتل؛ لقصد الأعداء للمهاجر بالمصادمة، عند تحقق المصارمة[7]، قال معبرا بأداة التراخي إشارة إلى طول العمر وعلو الرتبة

---

(1) مسلم، صحيح مسلم: 785، كتاب الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، حديث (1887).
(2) الخازن، لباب التأويل: 1/ 449.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 156،157.
(4) ابن الجزري، تحبير التيسير: 329.
(5) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 632.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 311.
(7) المصارمة: المهاجرة وقطع الكلام. الزبيدي، تاج العروس: 32/ 505.

بسبب الهجرة: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ أي بعد الهجرة، وألحق به مطلق الموت فضلاً منه، فقال: ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ أي من غير قتل، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾ أي الملك الأعلى، ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ من حين تفارق أرواحهم أشباحهم؛ لأنهم أحياء عند ربهم، وذلك لأنهم أرضوا الله بما انخلعوا منه مما أثلوه[1] طول أعمارهم، وأثله آباؤهم من قبلهم، وأموالهم وأهليهم وديارهم. ولما كان التقدير: فإن الله فعال لما يريد من إحيائهم ورزقهم وغيره، عطف عليه قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ أي الجامع لصفات الكمال بعظمته وقدرته على الإحياء كما قدر على الإماتة"[2].

المعنى العام للآية: قال المفسرون: الرزق الحسن هو الذي لا ينقطع أبدا، وذلك رزق الجنة [3]. وقال آخرون قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ هو قوله: ﴿بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] [4]. والرزق الحسن يحتمل أن يراد به رزق الشهداء في البرزخ، ويحتمل أنه بعد يوم القيامة في الجنة وهو النعيم فيها [5]. وقوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: ليُجْرِيَن عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم [6]. ذكر صاحب الضلال: سواء لاقوا الله شهداء بالقتل، أو لاقوه على فراشهم بالموت. فلقد خرجوا من ديارهم وأموالهم في سبيله مستعدين لكل مصير، واستروحوا [7] الشهادة في هجرتهم عن أي طريق، فتكفل الله لهم بالعوض الكريم عما فقدوه: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وهو رزق أكرم وأجزل من كل ما تركوا [8].

ثانيًا: تمتع الشهداء بالرزق الروحي وهو الفرح والاستبشار.

بعد أن بين الله الرزق البدني الذي يمنحه للشهداء في سبيله، أخبرنا سبحانه أن هناك رزقا روحيا يؤتيه الله تعالى لمن وهبوا أرواحهم في سبيله، قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٠-١٧١].

---

[1] أثلوه: أكتسبوه، أو أصلوه، أو عظموه. ابن منظور، لسان العرب: 1/ 73.

[2] البقاعي، نظم الدرر: 5/ 167.

[3] السمعاني، تفسير القرآن: 3/ 451.

[4] البغوي، معالم التنزيل: 5/ 396.

[5] الأندلسي، البحر المحيط: 6/ 354.

[6] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 10/ 89.

[7] استروحوا: الاسترواح: التشمم. ابن منظور، لسان العرب: 5/ 357.

[8] سيد قطب، في ظلال القرآن: 4/ 2438.

القراءات: ﴿وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِين﴾ يقرأ بكسر الهمزة وفتحها، فالحجة لمن كسر أنه جعلها مبتدأة، ودليله قراءة البعض: {والله لا يضيع} بغير {إن}، والحجة لمن فتح أنه عطف على قوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾ { وأن الله} يريد: وبأن الله [1].

الوجوه النحوية: وفي نصب قوله: ﴿فَرِحِينَ﴾ وجهان، أحدهما: أن يكون منصوبًا على الخروج من قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، والآخر من قوله: ﴿يُرْزَقُون﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ولو كان رفعًا بالردّ على قوله: (بل أحياء فرحون) كان جائزًا، ونصب ﴿أَلاَّ﴾ بمعنى: يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [2]. وموضع (أنْ) خفض، والمعنى: يستبشرون بأن لا خوف عليهم ولا ولا هم يحزنون، وقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِين﴾ (إنْ) في موضع خفض، والمعنى: ويستبشرون بأن الله لا يضيع [3]. وضمير ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ﴾ يجوز أن يعود إلى (الذين لم يلحقوا بهم)، فتكون الجملة حالا من (الذين لم يلحقوا بهم) أي لا خوف عليهم ولا حزن فهم مستبشرون بنعمة من الله، ويحتمل أن يكون تكريرا لقوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾ والضمير لـ (الذين قتلوا في سبيل الله)، وفائدة التكرير تحقيق معنى البشارة[4].

المناسبة في الآية: لما ذكر سرورهم بما نالوه، ذكر سرورهم بما علموه لمن هو على دينهم، فقال: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾. ولما ذكر سرورهم لأنفسهم تارة ولإخوانهم أخرى كرره؛ تعظيما له وإعلاما بأنه في الحقيقة عن غير استحقاق، وإنما هو مجرد مَنّ، فقال: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ﴾ [5].

المعنى العام للآية: ذكر الطبري في تفسيره: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون﴾ ويفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله، لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه، فهم لذلك مستبشرون بهم، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك لا خوف عليهم؛ لأنهم قد أمنوا عقاب الله، وأيقنوا برضاه عنهم، فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون﴾ على ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها. ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾

---

(1) ابن خالويه، الحجة في القراءات: 56، الداني، التيسير: 70.
(2) الطبري، جامع البيان: 6/ 236.
(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 489.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/ 167.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 2/ 180،181.

يفرحون، ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ﴾ يعني بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه، ﴿وَفَضْلٍ﴾ يقول: وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله ﷺ وجهاد أعدائه [1]. وقيل: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ يعني بما أعطاهم من الثواب والكرامة والإحسان والإفضال في دار النعيم، والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للإنسان عند البشارة [2]. وقد بين الله أنهم كما يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم على ما ذكر فهم يستبشرون لأنفسهم بما رزقوا من النعيم، وإنما أعاد لفظ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لأن الاستبشار الأول كان بأحوال الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، والاستبشار الثاني كان بأحوال أنفسهم خاصة [3]. ويضيف السعدي: جمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا (يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) أي: يبشر بعضهم بعضا، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله، وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، وهو الفرح، والاستبشار وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا [4].

المطلب الثاني: نيل الشهداء المغفرة والرحمة والنور من الله تعالى.

ومما ذكره القرآن الكريم ما يناله الشهداء من مغفرة لذنوبهم، ورحمة من ربهم، ونور في جناتهم يقول تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

القراءات: اختلفوا في ضم الميم وكسرها من قوله {متم} فقرأ جماعة: {مت} و{متنا} و{متم} برفع الميم في كل القرآن، وروي عن غيرهم: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ﴾، وكذلك قوله: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، برفع الميم في هذين الحرفين، وقوله: ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أكثرهم قرأ خير مما تجمعون بالتاء، إلا البعض فإنهم قرأوا بالياء [5].

---

[1] الطبري، جامع البيان: 6/ 236،238.
[2] الخازن، لباب التأويل: 1/ 449،450.
[3] الرازي، مفاتيح الغيب: 9/ 78.
[4] السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 57،157.
[5] ابن مجاهد، السبعة في القراءات: 218.

الوجوه النحوية: اللام في قوله: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ موطّئة للقسم، أي مؤذنة بأنّ قبلها قسمًا مقدّرًا ورد بعده شرط، فلذلك لا تقع إلاّ مع الشرط. واللام في قوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ هي لام جواب القسم. والجوابُ هو قوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ﴾؛ لظهور أنّ التقدير: لمغفرة ورحمة لكم [1].

المعنى العام للآية: لئن تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله أو الهلاك بالموت فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا [2]. قدم القتل هنا لأنه ابتداء إخبار، فقدّم الأشرف الأهم في تحصيل المغفرة والرحمة، إذ القتل في سبيل الله أعظم ثوابًا من الموت في سبيله [3]. وتضمن هذا أن القتل في سبيل الله، والموت أيضا وسيلة إلى نيل رحمة الله وعَفوه ورضوانه، وذلك خير من البقاء في الدنيا وجمع حطامها الفاني [4]. فالموت أو القتل في سبيل الله–بهذا القيد وبهذا الاعتبار–خير من الحياة وخير مما يجمعه الناس في الحياة من أعراضها الصغار: من مال وجاه وسلطان ومن متاع. خير بما يعقبه من مغفرة الله ورحمته وهي في ميزان الحقيقة خير مما يجمعون [5].

وعن النور الذي يمنحه الله تعالى للشهداء، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩].

المعنى العام للآية: قال المفسرون: ﴿وَنُورُهُمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: نورهم على الصراط، الثاني: إيمانهم في الدنيا[6]. وقال آخرون: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: ثوابهم وضياؤهم [7]. وقيل: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال [8]. وهذا يقتضي شدة علوهم ورفعتهم، وقربهم إلى الله تعالى.

المطلب الثالث: تكفير الله تعالى سيئات الشهداء وإيتائهم الأجر العظيم.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/ 143.
(2) الخازن، لباب التأويل: 1/ 438.
(3) الأندلسي، البحر المحيط: 3/ 102.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 231.
(5) سيد قطب، في ظلال القرآن: 4/ 499.
(6) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 479.
(7) السمعاني، تفسير القرآن: 5/ 374.
(8) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 13/ 426.

ومن الفضل والجزاء الذي يمنحه الله للشهداء هو تكفير سيئاتهم، يقول الله ﷻ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

القراءات: اختلفوا في قوله ﴿وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ في تقديم الفعل المبني للفاعل وتأخيره والتشديد والتخفيف. فقرأ جماعة: {وقاتلوا وقتلوا} مشددة التاء، وقرأ آخرون: {وقاتلوا وقتلوا} خفيفة، وقرأ غيرهم {وقتلوا وقتلوا} يبدآن بالفعل المبني للمفعول به قبل الفعل المبني للفاعل [1].

الوجوه النحوية: ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ جواب قسم محذوف، أي: والله لأكفرن، والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول، وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما [2].

المعنى العام للآية: ﴿وَقَاتَلُواْ﴾ يعني: وقاتلوا في سبيل الله، ﴿وَقُتِلُواْ﴾ فيها، ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ يعني: لأمحونها عنهم، ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي، ولأغفرنها لهم [3]. وقيل: المراد من قوله: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ الذين اختاروا المهاجرة من أوطانهم في خدمة الرسول ﷺ، والمراد من ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ﴾ الذين ألجأهم الكفار إلى الخروج، وقوله ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ أي من أجله وسببه، ﴿{وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ لأن المقاتلة تكون قبل القتال [4].

وقد ثبت في الصحيح أن رجلا قال: «يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: نعم، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر»، ثم قال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟» قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك» [5].

وعن الأجر العظيم للشهداء يقول سبحانه: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

---

(1) ابن مجاهد، السبعة في القراءات: 221.

(2) الحنفي، إرشاد العقل السليم: 1/ 632،633.

(3) الطبري، جامع البيان: 6/ 322.

(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 9/ 123.

(5) صحيح مسلم: 785، كتاب الإمارة، باب: من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، حديث (1885).

المناسبة في الآية: يقول البقاعي: "والآية من الاحتباك: ذكرُ القتل أولاً دليل على السلامة ثانيًا، وذكر الغالبية ثانيًا دليل على المغلوبية أولاً؛ وربما دل التعبير (بسوف) على طول عمر المجاهد غالبًا خلافًا لما يتوهمه كثير من الناس، إعلامًا بأن المدار على فعل الفاعل المختار، لا على الأسباب"[1].

المعنى العام للآية: وردت في الأجر العظيم في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ عدة معانٍ متشابهة منها: فسوف نعطيه في الآخرة ثوابًا وأجرًا عظيمًا. وليس لما سمى جل ثناؤه (عظيمًا)، مقدار يعرِف مبلغَه عبادُ الله[2]. وقيل: أي ثوابا عظيما في الجنة[3]. وقيل: هو المنفعة الخالصة الدائمة المقرونة بالتعظيم[4]. وقيل: يعني ثوابًا وافرًا[5]. وقيل: ما يناله من النعيم في الآخرة[6]. وقيل: فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر جزيل[7]. وقيل: هو زيادة في إيمانه ودينه، وغنيمة، وثناء حسنا، وثواب المجاهدين في سبيل الله الذين أعد الله لهم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[8].

المطلب الرابع: عدم ضياع أعمال الشهداء وفوزهم بالهداية وصلاح بالهم.

﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُم﴾ [محمد: ٤ – ٥].

سبب النزول: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت يوم أحد، ورسول الله في الشعب، وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون يومئذ: أعلُ هُبَل، ونادى المسلمون: الله أعلى وأجل، فقال المشركون: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم، إن القتلى مختلفة، أما قتلانا فأحياء يرزقون، وأما قتلاكم ففي النار يعذبون»[9].

---

[1] البقاعي، نظم الدرر: 2/ 280.
[2] الطبري، جامع البيان: 7/ 223.
[3] السمرقندي، بحر العلوم: 1/ 368.
[4] الرازي، مفاتيح الغيب: 10/ 144.
[5] الخازن، لباب التأويل: 1/ 559.
[6] الأندلسي، البحر المحيط: 3/ 314.
[7] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 159.
[8] السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 187.
[9] السيوطي، لباب النقول: 213.

القراءات: قرأ جماعة: {والذين قُتِلوا} بضم القاف وكسر التاء، والباقون بفتحهما وألف بينهما [1].

الوجوه النحوية: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ خبر عن الموصول، وقرنت بالفاء لإفادة السببية في ترتب ما بعد الفاء على صلة الموصول؛ لأن الموصول كثيرًا ما يشرب معنى الشرط فيقرن خبره بالفاء، وبذلك تكون صيغة الماضي في فعل (قاتلوا) منصرفة إلى الاستقبال؛ لأن ذلك مقتضى الشرط. وجملة ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ وما عطف عليها بيان لجملة: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ [2].

المناسبة في الآية: ولما كان في سياق الترغيب، قرن الخبر بالفاء إعلامًا بأن أعمالهم سببه فقال تعالى: ﴿فَلَن يُضِلَّ﴾ أي يضيع ويبطل ﴿أَعْمَالَهُم﴾ لكونها غير تابعة لدليل بل يبصرهم بالأدلة ويوفقهم لاتباعها [3].

المعنى العام للآية: وردت عدة معانٍ للمفسرين منها: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ يعني لن يبطل أعمالهم الحسنة [4]. وقيل: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ فلن يجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالا عليهم كما أضلّ أعمال الكافرين. ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ سيوفق الله ذكره للعمل بما يرضى ويحبّ، هؤلاء الذين قاتلوا في سبيله، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُم﴾ ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة[5]. وقيل: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ فلن يضيعها، ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى الثواب أو سيثبت هدايتهم [6]. وقيل: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ أي: لن يذهبها بل يكثرها وينميها ويضاعفها. ومنهم من يجري عليه عمله في طول بَرْزَخه [7]. وقيل: ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُم﴾ أي: وثوابهم يكون صالحا كاملا لا نكد فيه، ولا تنغيص بوجه من الوجوه [8].

[8].

المطلب الخامس: فوز الشهداء بجنات النعيم.

في هذا المطلب الأخير، نذكر ثلاث آيات تكلمت صراحة عن مكافأة الله سبحانه للشهداء في سبيله بجنات النعيم، أولها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ

---

[1] الداني، التيسير في القراءات السبع: 162.
[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 84.
[3] البقاعي، نظم الدرر: 7/ 153.
[4] البلخي، تفسير مقاتل: 30/ 234.
[5] الطبري، جامع البيان: 21/ 190،191.
[6] البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 286.
[7] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 13/ 62.
[8] السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 785.

أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: 195].

الوجوه النحوية: قوله عز وجل: ﴿ ثَوَابًا ﴾ مصدر مؤكد؛ لأن معنى: ﴿ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾: لأثيبنهم [1]. وقيل: ﴿ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ ﴾ أي أثيبهم بذلك إثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد [2].

المعنى العام للآية: ﴿ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا ﴾ يعني: جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله، ﴿ مِّن عِندِ اللّهِ ﴾ يعني: من قبل الله لهم، ﴿ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ يعني: أن الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوفه وذلك ما لا يبلغه وصف واصفٍ، لأنه مما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر [3]. وقيل: ﴿ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ ﴾ يعني ذلك الذي أعطاهم من تكفير سيئاتهم وإدخالهم الجنة ثوابًا من فضل الله وإحسانه إليهم، ﴿ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذي أعطاهم من فضله وكرمه لأنه جواد كريم [4]. وقيل: ﴿ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أي: تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب، من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك. وقوله: ﴿ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جَزيلا كثيرًا [5].

أما الآية الثانية التي تتحدث عن جزاء الشهداء بالجنة فيقول فيها سبحانه: ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١١١].

المناسبة في الآية: لما ذكر المبيع اتبعه الثمن فقال: ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ أي خاصة بهم مقصورة عليهم، لا يكون لغير مؤمن، فيميزهم حتى يقابل كل ما يستحقه، ثم سبب عن ذلك ما هو حقيق به، فقال: ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ أعم من أن يكون ذلك بالقوة أو بالفعل، فيخصهم بالجنة كما

---

[1] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/ 500.
[2] البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/ 325.
[3] الطبري، جامع البيان: 6/ 322.
[4] الخازن، لباب التأويل: 1/ 470.
[5] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 307.

وعدهم. ولما كان القتل لكونه سببًا للجنة بشارة ووعدًا، أكد ذلك بقوله: ﴿وَعْدًا﴾، وزاده بحرف الإيجاب فقال: ﴿عَلَيْهِ﴾، وأتم التأكيد بقوله: ﴿حَقًّا﴾، ولما أكد هذه المبايعة الكريمة هذه التأكيدات العظيمة، زاد ذلك بذكره في جميع الكتب القديمة [1].

المعنى العام للآية: يقول الطبري في قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾، "وعدهم الجنة جل ثناؤه، وعدًا عليه حقًّا أن يوفِّي لهم به، في كتبه المنزلة: التوراة والإنجيل والقرآن، إذا هم وَفَوا بما عاهدوا الله، فقاتلوا في سبيله ونصرةِ دينه أعداءَه، فقَتَلوا وقُتِلوا"[2]. وقال الخازن: "﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ يعني أن هذا الوعد الذي وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله قد أثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن، وفيه دليل على أن الأمر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ يعني لا أحد أوفى بالعهد من الله"[3]. ويرى ابن كثير (ت774هـ) في تفسير الآية: يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له، وقوله: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ أي: سواء قَتَلوا أو قُتِلوا، أو اجتمع لهم هذا وهذا، فقد وجبت لهم الجنة [4]. ﴿وَذَلِكَ﴾ أي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من أنفسهم وأموالهم ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ﴾ الذي لا فوزا أعظم منه [5]. وقيل: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات والأفراح والمسرات، والحور الحسان، والمنازل الأنيقات [6]. ﴿فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ﴾ استبشروا بإخلاص أنفسكم وأموالكم لله، وأخذ الجنة عوضًا وثمنًا، كما وعد الله [7].

وفي الآية الثالثة التي ذكرت أن الجنة هي جزاء الشهداء في سبيل الله، يقول تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُم﴾ [محمد: ٦].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 3/ 389.
(2) الطبري، جامع البيان: 12/ 5.
(3) الخازن، لباب التأويل: 3/ 151.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 291.
(5) الحنفي، إرشاد العقل السليم: 2/ 610.
(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 353.
(7) قطب، في ظلال القرآن: 11/ 1718.

المناسبة في الآية: لما كان الثواب الذي ذكره الله لمن قتل في سبيله ثوابًا عظيمًا ونوالاً جسيمًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد:4-5]، أتبعه ثوابًا أعظم منه فقال: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ﴾ أي: دار القرار الكاملة في النعيم [1].

المعنى العام للآية: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ يقول: ويُدخلهم الله جنته، ﴿عَرَّفَهَا﴾ يقول: عرّفها وبيَّنها لهم، حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا، لا يشكل عليه ذلك [2]. وقيل أيضا: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أي بَيَّن لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطؤون، ولا يستدلون عليها أحدًا كأنهم سكانها منذ خلقوا، فيكون المؤمن أهدى إلى درجته، وزوجته وخدمه منه إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين [3]. وفيه وجه آخر وهو أن يقال: معناه ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ قبل القتل، فإن الشهيد قبل وفاته تعرض عليه منزلته في الجنة فيشتاق إليها [4]. وقيل: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أي: عرفها أولا بأن شوقهم إليها، ونعتها لهم، وذكر لهم الأعمال الموصلة إليها، التي من جملتها القتل في سبيله، ووفقهم للقيام بما أمرهم به ورغبهم فيه، ثم إذا دخلوا الجنة عرفهم منازلهم، وما احتوت عليه من النعيم المقيم، والعيش السليم [5].

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1- للشهداء مكانة عظيمة عند الله بينها سبحانه في عدة آيات من القرآن الكريم.

2- ارتقت مكانة الشهداء إلى أعلى الدرجات حيث أصبحوا رفقاء لخير الخلق في جنات النعيم، وبين أيضًا أن مقام الشهداء عالٍ في جنات النعيم فمقامهم عند ربهم سبحانه.

3- الشهداء باعوا دنياهم بآخرتهم، واشترى منهم سبحانه وتعالى أنفسهم.

4- الشهداء عاهدوا الله تعالى على القتال والشهادة في سبيله، وصدقوا في عهدهم حين قاتلوا في سبيله، واستشهد منهم من استشهد.

5- وصف الله الشهادة في سبيله بأجمل الأوصاف وهو أنها إحدى الحسنيين.

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 153،154.

(2) الطبري، جامع البيان: 21/ 191.

(3) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 280.

(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 42.

(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 785.

6- بين الله الفضل والجزاء العظيم الذي يناله الشهداء في سبيله وجاء ذلك في آيات القرآن الكريم.

7- يحظى الشهداء بحياة حقيقية عند الله سبحانه استحقوها بعد استشهادهم، يتمتعون فيها بمختلف النعم، منها الرزق الجسدي، والرزق الروحي وهو الفرح والاستبشار.

8- يجزي الله سبحانه الشهداء بالمغفرة والرحمة والنور، ويكفر سيئاتهم، ويؤتيهم الأجر العظيم.

9- لا يضيع سبحانه أعمال الشهداء، ويهديهم، ويصلح أحوالهم، ويفوز الشهداء بأعظم جزاء وهو جنات النعيم.

ثانيًا: التوصيات:

1- موضوع الشهادة في سبيل الله من أعظم ما ورد في القرآن الكريم، ويجب أن يحظى هذا الموضوع بعدة أبحاث تتحدث عن الشهادة من جميع جوانبها.

2- يجب توضيح معنى الشهادة في سبيل الله لأبنائنا بشتى الوسائل، ومنها المناهج الدراسية؛ حتى ينشأ هذا الجيل على حب الجهاد والاستشهاد في سبيل الله؛ لكي تظل راية الإسلام عالية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

3- تخليد ذكرى الشهداء على مر التاريخ الإسلامي، وتمجيد بطولاتهم؛ ليصبحوا قدوة لشباب الإسلام.

4- التأكيد والتوضيح للنعيم الذي أعده الله للشهداء في سبيله؛ حتى يفتخر ويرتاح قلب كل من استشهد له قريب، ولا تذهب نفسه حسرات عليه.

قائمة المصادر والمراجع:

1) ابن الأثير، مجد الدين (د.ت): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
2) ابن الأنباري، أبو البركات (1980م): البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: طه عبدالحميد، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
3) ابن الجزري، شمس الدين محمد (2000م): كتاب تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: أحمد محمد القضاة، ط1، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
4) ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (1999م): الحجة في القراءات السبع، تحقيق: أحمد المزيدي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
5) ابن عاشور، محمد الطاهر (1997م): التحرير والتنوير، د.ط، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
6) ابن فارس، أبو الحسين أحمد (1979م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

7) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (1971م): السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، د.ط، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
8) ابن مجاهد، أبو بكر أحمد (1400هـ): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، القاهرة: دار المعارف.
9) ابن منظور، محمد بن مكرم (1999م): لسان العرب، تحقيق: أمين محمد، محمد الصادق العبيدي، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي.
10) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (1964م): تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، د.ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
11) الأصفهاني، الحسين بن محمد (د.ت): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، د.ط، لبنان: دار المعرفة.
12) الألوسي، شهاب الدين محمود (د.ت): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
13) الأندلسي، محمد بن يوسف (2001م): تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل عبدالموجود، علي محمد معوض، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
14) البغوي، الحسين بن مسعود (1989م): معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، عثمان جمعة، سليمان الحرش، ط1، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
15) البقاعي، برهان الدين إبراهيم (1995م): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية.
16) البلخي، مقاتل بن سليمان (2003م): تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
17) البيضاوي، عبد الله بن عمر (2000م): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد صبحي، محمود الأطرش، ط1، دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان.
18) الحاكم، محمد بن عبد الله (د.ت): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر، بيروت: دار الكتب العلمية.
19) الحلبي، أحمد بن يوسف (د.ت): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد الخراط، د.ط، دمشق: دار القلم.
20) الحنفي، أبو السعود بن محمد (د.ت): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، د.ط، مطبعة السعادة.
21) الخازن، علاء الدين علي (1979): لباب التأويل في معاني التنزيل، د.ط، لبنان: دار الفكر.

22) الداني، عثمان بن سعيد (1996): كتاب التيسير في القراءات السبع، ط1، لبنان: دار الكتب العلمية.
23) الرازي، فخرالدين محمد بن عمر (2000): مفاتيح الغيب، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية.
24) الزبيدي، محمد مرتضى (1987): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ط6، مطبعة حكومة الكويت.
25) الزجاج، إبراهيم بن السري (1988): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبدالجليل شلبي، ط1، بيروت: عالم الكتب.
26) الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود (1998): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد، علي معوض، ط1، مكتبة العبيكان.
27) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (2002م): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة.
28) السمرقندي، نصر بن محمد (1993م): بحر العلوم، تحقيق: علي معوض، عادل أحمد، زكريا النوتي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
29) السمعاني، منصور بن محمد (1997م): تفسير القرآن، تحقيق: ياسر إبراهيم، غنيم عباس، د.ط، الرياض: دار الوطن.
30) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (2006م): لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي.
31) الشربيني، محمد بن أحمد (د.ت): تفسير السراج المنير، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية.
32) الشوكاني، محمد بن علي (2006م): البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: محمد حلاق، ط1، دمشق– بيروت: دار ابن كثير.
33) الطبري، محمد بن جرير (2001م): جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
34) العكبري، عبد الله بن الحسين (2001م): التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: سعد كريم الفقي، ط1، دار اليقين للنشر والتوزيع.
35) الفراء، يحيى بن زياد (1983): معاني القرآن، ط7، بيروت: عالم الكتب.
36) الفيروزآبادي، مجدالدين محمد (د.ت): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد النجار، د.ط، لبنان: المكتبة العلمية.
37) القرطبي، محمد بن أحمد (2006م): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة.
38) قطب، سيد (2003م): في ظلال القرآن، ط32، دار الشروق.

39) الكرماني، محمد بن أبي نصر (د.ت): شواذ القراءات، تحقيق: شمران العجلي، د.ط، بيروت: مؤسسة البلاغ.
40) الماوردي، علي بن محمد (د.ت): النكت والعيون، تحقيق: السيد عبدالمقصود، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية.
41) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري (1998م): صحيح مسلم، د.ط، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع.
42) المطرزي، ناصر الدين بن عبدالسيدين (1979م): المغرب في ترتيب المعرب، تحقيق: محمود فاخوري، عبدالحميد مختار، ط1، حلب: مكتبة أسامة بن زيد.
43) النحاس، أحمد بن محمد (1985م): إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، ط2، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية.
44) الهراسي، عماد الدين بن محمد (1983): أحكام القرآن، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
45) الواحدي، علي بن أحمد (1992م): أسباب النزول، تحقيق: عصام الحميدان، ط2، الدمام: دار الإصلاح.